الفخر الرازي

هو أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الحسين بن على القرشى التيمى البكرى الطبرستانى الرازى .

لقب بفخر الدين ، وعرف بابن الخطيب .

ولد بالرى خامس عشر شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة للهجره .

وقد شب على طلب العلم ورحل في سبيل تحصيله الى أشهر مواطنه في عصره . في خوارزم وخراسان وما وراء النهر ، وكان قد قضى وطره من التلقى عن والده الذى كان من تلاميذ الامام البغوي الشهير ثم تلقى بعده عن الكمال السمعاني والمجد الجيلى وكثير من العلماء الذين عاصرهم ..

وقد كان من نتيجة السعى لطلب العلم والجد في تحصيله أن أصبح الرازى — كما قيل عنه — أمام وقته في العلوم العقلية فكان متكلم زمانه واحد الائمة في العلوم الشرعية ، والتفسير واللغة — كما كان فقيها على المذهب الشافعي ..

مؤلفاته :

وقد ترك الرازى في هذه العلوم الكنوز العلمية الكبيرة والآثار الخالدة من المؤلفات التى حظيت في حياته وبعد وفاته باقبال الناس عليها يتدارسونها وينتفعون بما تركته قريحة هذا العالم الكبير وهى تربو في مجموعها على مائتى مصنف .

ومن أشهر مؤلفات الرازى :

كتابه المشهور في التفسير المعروف بـ « مفاتيح الغيب »
ولوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات ..
وكتابه : معالم أصول الدين ...
ومحصل المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين
والمسائل الخمسون في اصول علم الكلام ..
وأسرار التنزيل في التوحيد ..
والمباحث المشرقية
ونموذج العلوم
والمحصول في علم الأصول
والسر المكتوم في مخاطبة النجوم
وكتاب الهندسة

وغير ذلك الكثير مما يجعله فى مكانة مع كبار العلماء والمفكرين والفلاسفة الاسلاميين .

وتفسيره

للدكتور : منيع عبد الحليم محمود

وقد كان لهذا العالم الفذ مواقفه الصلبة دفاعا عن العقيدة وذبا عن حماها .

وكان للرازى شهرة كبيرة فيالوعظ باللسانين العربى والعجمى وكان بالغ التأثير في خطابته لما يلحقه من وجد في حال الوعظ حيث كان يكثر من البكاء فيأخذ بمجامع القلوب وتنصت اليه الاسماع ، وقد زاد من تأثيره في قلوب سامعيه عاطفته التى كانت تجيش في كثير من الأحيان بشعر يأخذ بالألباب ويهز أوتار القلوب هزا ..

ومن شعره في ذلك :

اليك اله الحق وجهى ووجهتى
وانت الذى ادعوهفي السر والجهر
وأنت غياثي عند كل ملمة
وانت أنيسى حين افرد في القبر

ومنه :

نهاية اقدام العقول عقال
واكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا
وحاصل دنيانا أذى ووبال
وكم قد رأينا من رجال ودولة
فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها
رجال فزالوا والجبال جبال

تلامذة الرازى :

وقد كثر تلاميذ الرازي كثرة فائقة حتى قيل أنه كان يمشي فى خدمته نحو ثلاثمائة تلميذ . وكان يحضر مجالس وعظه الخاص والعام ..

وقد عاش الرازى في رغد من العيش وسعة من الثراء ونعمة تضاهى نعمة الملوك حيث اجتمعت له الأموال الكثيرة اكراما من سلاطين عصره ، من أمثال :

شهاب الدين الغورى سلطان غزنة ، والسلطان علاء الدين خوارزم شاه وقد عظم شأنه حتى ان الملك خوارزم هذا كان يأتى الى بابه ويحضر مجالس وعظه حتى اذ انتهت به الحياة وقضى منها وطره ترك ثروة ضخمة تربو على ثمانين ألف دينار .

ومع ما قام به هذا الرجل من دراسات وتأليف ومحاورات في علم الكلام فاننا نراه — ككثير من العلماء — يعود الى الاقرار بأن هناك ما هو أجدى وأجدر بالبحث والدراسة والتصنيف وهو القرآن الكريم فتراه يقول :

« لقد اختبرت الطريق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروى غليلا ، ولا تشفى عليلا . ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن ... »
ثم يقول :
« وأقول من صميم القلب من داخل الروح : اني مقر بأن ما هو الأكمل الأفضل الأعظم الأجل فهو لك ، وكل ما هو عيب ونقص فأنت منزه عنه .. » .

ان الامام الرازي بهذا الاعتراف الذي كان منه فى أواخر حياته يبين ان هذا الفيلسوف بعد أن طاف بمجالات الفكر في جوانبها العميقة وفي زواياها المستفيضة رأى في النهاية أن منهج الاتباع للقرآن وللسنة هو المنهج الذى يهدى الانسان الى الصراط المستقيم . أما المتاهات التى سار فيها الفلاسفة والمتكلمون فانها ليست بمنهج المسلم الصادق .

والقرآن نزل هداية للعقل ورسما للطريق الصواب ، وهو عصمة لمن أتبعه وهداية لمن استقام عليه .

وعاد الامام الرازي بعد أن طوف ما طوف الى القرآن الكريم متبعا ومستهديا ومسترشدا . وقال كلمته المشهورة :
نهاية اقدام العقول عقال ..

تفسير الرازى « مفاتيح الغيب » ومنهجه فيه .

يقع هذا التفسير فى ثمانية مجلدات ضخمة مطبوعة ومتداولة بين أهل العلم حيث يحظى بين دارسى القرآن بالشهرة الواسعة نظرا لما يشتمل عليه من أبحاث مستفيضة تضم أنواعا شتى من مسائل العلوم المختلفة حتى قيل عنه : انه جمع كل غريب وغريبة .

والناظر في هذا التفسير الكبير يجد أمورا هامة تلفت النظر وتشد الانتباه ، منها :

١ ــ الاهتمام بذكر المناسبات بين سور القرآن وآياته بعضها مع بعض حتى يوضح ما عليه القرآن من ترتيب على الحكمة «تنزيل من حكيم حميد »

٢ ــ كثرة الاستطراد الى العلوم الرياضية والفلسفية والطبيعية وغيرها . .

٣ ــ العرض لكثير من آراء الفلاسفة والمتكلمين بالرد والتفنيد فهو ــ على شاكلةأهل السنة ومن يعتقد معتقدهم ــ يقف دائما للمعتزلة بالمرصاد يفند آراءهم ويدحض حجتهم ما استطاع الى ذلك سبيلا .

٤ ــ والفخر الرازى في تفسيره لا يكاد يمر بآية من آيات الأحكام الا ويذكر مذاهب الفقهاء فيها مع ترويجه لمذهب الشافعى الذى كان يتابعه هو في عباداته ومعاملاته .

٥ ــ ويضيف الرازى الى ما سبق كثيرا من المسائل في علوم :
الأصول والبلاغة والنحو وغيرها ، وان كانت هذه المسائل في مجموعها بعيدة عن الاطناب والتوسع كما هو الحال في المسائل الكونية والرياضية والفلسفية بوجه عام ..

وبالجملة فتفسير الامام الرازى أشبه ما يكون بموسوعة كبيرة فى علوم الكون والطبيعة التى تتصل اتصالا من قريب أو بعيد بعلم التفسير والعلوم الخادمة له والمترتبة عليه استنباطا وفهما . .

والكتاب بين يدى القارىء بذلك يعتبر مائدة كبرى حوت أطيب المآكل والمشارب وقطوف الثمرات ، يشبع ويروى بها أهل العلم ودارسو القرآن وعلومه أفئدتهم وظمأهم من هذا التفسير المبارك ..

رحم الله الرازى ونفع بتفسيره وجزاه عن القرآن وعلومه ودارسيه خير الجزاء ..

نموذج من تفسيره :

قوله تعالى : **(لا ريب فيه)** البقرة / ٢ . فيه مسألتان :

المسألة الاولى : « الريب » قريب من الشك ، وفيه زيادة كأنه ظن سوء .. تقول : رابنى أمر فلان اذا ظننت به سوءا ، ومنه قوله عليه السلام : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك .. » .

فان قيل : قد يستعمل الريب في قولهم : ريب الدهر ، وريب الزمان ، أى حوادثه ..

قال الله تعالى : **(.. نتربص به ريب المنون) الطور**/ ٣٠ . ويستعمل أيضا في معنى ما يختلج في القلب من أسباب الغيظ كقول الشاعر :

قضينا من تهامة كل ريب
وخيبر ثم اجمعنا السيوفا ؟

قلنا : هذان قد يرجعان الى معنى الشك لان ما يخاف من ريب المنون محتمل فهو كالمشكوك .

وكذلك ما اختلج بالقلب فهو غير متيقن ، فقوله تعالى : **(لا ريب فيه)** المراد منه نفى كونه مظنة الريب بوجه من الوجوه . والمقصود انه لا شبهة في صحته ولا في كونه من عند الله ولا في كونه معجزا ..

ولو قلت : المراد لا ريب في كونه معجزا على الخصوص كان اقرب لتأكيد هذا التأويل بقوله : **(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا)** .

وها هنا أسئلة :

السؤال الأول : طعن بعض الملحدة فيه فقال : ان عنى انه لا شك فيه عندنا فنحن قد نشك فيه ، وان عنى أنه لا شك فيه عنده فلا فائدة فيه ..؟

الجواب : المراد أنه بلغ في الوضوح الى حيث لا ينبغي لمرتاب أن يرتاب فيه والأمر كذلك ــ لأن العرب مع بلوغهم في الفصاحة الى النهاية عجزوا عن معارضة أقصر سورة من القرآن وذلك يشهد بأنه بلغت هذه الحجة في الظهور الى حيث لا يجوز للعاقل أن يرتاب فيه .

السؤال الثانى : لم قال ههنا **(لا ريب فيه)** وفي موضع آخر : **(لا فيها غول)** ؟ الصافات /٤٧ .

الجواب : لأنهم يقدمون الأهم فالأهم ، وههنا الأهم نفى الريب بالكلية عن الكتاب ــ ولو قلت :لافيه ريب لأوهم أن هناك كتابا آخر حصل الريب فيه لاهنا كما قصد في قوله : **(لا فيها غول)** تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا فانها لا تغتال العقول كما تغتالها خمر الدنيا ..

السؤال الثالث : من اين يدل قوله لا ريب فيه على نفى الريب بالكلية ؟

الجواب : قرأ أبو الشعثاء : **(لا ريب فيه)** بالرفع . واعلم أن القراءة المشهورة توجب ارتفاع الريب بالكلية ، والدليل عليه أن قوله لا ريب : نفى لماهية الريب ، ونفى الماهية يقتضي نفي كل فرد من أفراد الماهية ، لأنه لو ثبت فرد من أفراد الماهية لثبتت الماهية ــ ولهذا السر كان قولنا :

لا اله الا الله نفيا لجميع الآلهة سوى الله تعالى .

وأما قولنا : لا ريب فيه ــ بالرفع فهو نقيض لقولنا : ريب فيه وهو يفيد ثبوت فرد واحد فذلك النفى يوجب انتفاء جميع الأفراد ليتحقق التناقض ... الخ .